

الاستثمار في الترجمة باعتبارها سبيلاً للنهضة والهيمنة Investing in translation as a way to renaissance and domination

أ. فارس بن طاهر*

د. سهيلة مريبعي^أ

تاريخ القبول: 25 / 06 / 2022

تاريخ الاستلام: 20 / 06 / 2022

ملخص: تأتي هذه الدراسة كمحاولة لتسليط الضوء على ضرورة الاهتمام بالترجمة والاستثمار فيها وفق مخطط بعيد المدى وواضح المعالم، وذلك في سبيل تحقيق نهضة حقيقية وشاملة. حيث حاولنا اظهار الأهمية التاريخية للترجمة باعتبارها الركيزة الأساسية لنقل العلوم والمعارف، واللبننة الأولى في البناء الحضاري للأمم، وكيف استخدمتها الحضارات المتعاقبة، ثم انتقلنا إلى تعداد بعض ما يمكن للأمة الاستفادة منه في عصرنا الحالي في حال استثمار فيها. **كلمات مفتاحية:** الترجمة؛ الحضارة؛ النهضة؛ الاستثمار.

Abstract: This study is an attempt to shed light on the need to focus on translation and invest in it in a long-term and well-defined plan, in order to achieve a real and comprehensive renaissance.

We tried to show the historical importance of the translation as the main pillar of the transfer of science and knowledge, the building block in nation-building, and how the successive civilizations used it. Then we moved to enumerate some of what the nation, in this era, can benefit from if it invests in it.

Keywords: translation; civilization; renaissance; investment.

1. مقدمة: يقال أن أعظم اختراعات البشرية هو اللغة التي لولها لما بلغ الإنسان ما بلغه من تقدم ورقي إذ بفضلها استطاعت الأجيال السابقة أن تنتقل علومها ومعارفها إلى الأجيال اللاحقة، وهو ما أدى مع تعاقب الأجيال إلى تشكّل تراكم معرفي هائل أسفر عن اكتشافات واختراعات عظيمة مكّنت البشرية من تطويع الطبيعة وتسخير كل ما فيها في سبيل تيسير الحياة.

إذا سلمنا بصحة هذه الفكرة فيمكننا القول دون تردد بأن الترجمة هي ثاني أعظم ابتكارات البشرية، لأنه إذا كان للغة الفضل في مخاطبة الإنسان لبني جلدته وعشيرته، فالترجمة سمحت له أن يحاور كل من على وجه البسيطة، بل جعلت من البشرية كياناً واحداً، ولو اقتصر الأمر على اللغة لوحدها لكان لكل مجموعة لغوية تراكماتها المعرفية الخاصة بها، ولظلت العلوم تراوح مكانها لقرون وقرون بدلاً من التراكم المعرفي البشري الذي نعرفه. فما هو الدور الذي لعبته الترجمة في بناء الحضارات قديماً؟ وكيف يمكننا استخدامها في عصرنا هذا؟ وماذا ستستفيد الأمة من الاستثمار فيها؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه من بحثنا هذا.

* جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، fares.bentahar@univ-alger2.dz (المؤلف المرسل)

^أ جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، souhila.meribai@univ-alger2.dz

2. دور الترجمة في نهضة الأولين: في الواقع فإن الترجمة كانت ولا تزال حاضرة ومسايرة لكل الثقافات

التي شهدتها البشرية، وكان لها دورٌ في نهضة الأمم، بل يمكن الجزم أنها الحجر الأساس لقيام الحضارات، وذلك لأن الإنسان استغل الترجمة للاستفادة من علوم غيره من الشعوب والحضارات البعيدة عنه مكانياً وزمانياً وثقافياً. فالتاريخ ينبئنا أن كل الأمم في بدايات نشأتها اعتمدت على الترجمة في نقل زبدة علوم ومعارف الأمم التي سبقتها، لتكون الأساس الذي تبني عليه نهضتها وحضارتها بعد تنقيحها وإضافة مساهمتها. لتصبح هذه الحضارة بدورها أحد مصادر العلوم والمعارف لحضارة لاحقة تستلهم منها ومن غيرها لبناء نهضتها وحضارتها، وهلم جرا. وأمثلة ذلك كثيرة، بدايةً من المصريين الذين نقلوا عن السوماريين وغيرهم، مروراً بالإغريق والفرس الذين بنوا نهضتهم لما نهلوا من مكتبات المصريين، وصولاً إلى الأمة الإسلامية التي أخذت من الفرس والإغريق والهنود والروم وغيرهم، وهي بدورها كانت مصدراً لمن تلاها من الأمم وبخاصة أوروبا.

والمتفحص لأغلب البحوث المتعلقة بالترجمة العربية يجدها غالباً ما تشير إلى فترة حكم الخليفة العباسي المأمون وتصفها بالعصر الذهبي للترجمة العربية، وتكيل المدح لبيت الحكمة رغم أن المكتبة العربية تكاد لا تضم بين رفوفها مؤلفات تناولت هذه الفترة بالدراسة والتدقيق، وما تتوفر عليه ليس سوى أصداء نسمعها في كتب التاريخ والأدب، تشير بكثير من التعظيم، الأقرب إلى التمجيل، إلى أسماء بعينها، مثل حنين بن إسحاق ومثى بن يونس القاني (الدين، 2015)، وحتى لو سلمنا بالدور الريادي الذي لعبه بيت الحكمة في تاريخ الترجمة العربية، فإنه يبقى مؤشراً مخيفاً للغاية، يصف بوضوح الحالة المزريّة التي الت إليها الأقطار الناطقة بالعربية التي رغم رقعتها الجغرافية الضخمة، وتاريخها المشرف، لا تجد ما تستدل به سوى هذا الإنجاز الذي مضى على وجوده أكثر من اثنتي عشرة قرناً. كما أن الاستدلال بمدرستي طليطلة وصقلية أمر لا يجوز كونهما تجربتين قامتا على أراضٍ أوروبية وبأيدٍ أوروبية وبرعاية ملوك أوروبيين.

إذن، الترجمة هي أداة النهضة وعلى كل أمة تريد النهوض أن تهتم بها وتستثمر فيها، حيث أن المبدأ بسيط للغاية، فعوض العمل من الصفر وبذل الجهد والمال والوقت في البحث فيما توصل إليه الآخرون، ما على من يريد النهضة إلا أن يتحصل على زبدة ما بلغته الأمم الأخرى من علوم ومعارف ولو تطلب الأمر دفع الأموال الطائلة. فالاستثمار المضمون النجاح إذن هو توفير العلوم والمعارف لأبناء الأمة بلغتهم حتى يتسنى لهم الاستيعاب وبالتالي الابداع وهو ما سيحقق الازدهار والرفق.

3. لماذا وكيف تكون الترجمة مشروع دولة؟

المنتبع لتاريخ الترجمة يجد أن أهم المحطات التي عرفت كانت برعاية من أعلى هرم السلطة، فلولا المأمون لما كان بيت الحكمة، ولولا ألفونسو لما كانت مدرسة طليطلة، ولولا الملك فريدريك لما قامت الترجمة في صقلية، فكل هؤلاء وغيرهم أدركوا أهمية وخطورة الترجمة.

أما في زمننا هذا فإن الترجمة أصبحت أكثر أهمية وخطورة مما سبق، ومن غير الحكمة أن يترك هذا الميدان دون رقيب ولا توجيه من طرف هيئة حكومية إذا كان الهدف حماية الأمة والنهوض بها. حيث أن السوق مكتظة بالخواص من دور نشر ومؤسسات ومكاتب الترجمة وكل هؤلاء غايتهم الأولى هي الربح المادي بأقل جهد ممكن، فنجد أن جُلّ تركيزهم وجهدهم ينكب على ترجمة الكتب التي تحقق أعلى المبيعات، وأما

الكتاب الأكاديمي فهو آخر همهم، ويصل الأمر في بعض الأحيان إلى درجة أن تترجم بعض الكتب مرات عدة لمجرد أنها مطلوبة من طرف القراء، وهو إضاعة للجهد والمال.

ولتفادي الوقوع في مثل هذه الحالة المرضية وتحقيق أكبر قدر ممكن من الفائدة يجب أن يكون مشروع دولة، أي تكون العملية بتمويل ورعاية وتحت رقابة الدولة متمثلة في هيئة حكومية، وعندما نقول مشروع دولة فنحن لا نقصد استحواذ الدولة على مجال الترجمة والاستفراد به، بل أن تكون العملية تشاركية، يشارك فيها كل الأطراف العاملين في مجال الترجمة من خواص وجامعات ومخابر بحث علمي.

4. لماذا يجب الاستثمار في الترجمة؟

من الأفكار المنتشرة في بعض الدول ولاسيما المستعمرات الأوروبية السابقة أن ترجمة العلوم وتدريسها باللغات الوطنية أمر خاطئ بحجة أن العلوم والأفكار تكون أكثر وضوحا في لغتها الأصلية ومن الصعوبة نقل النص الأصلي كاملا، أو أن بعض اللغات - في حالتنا اللغة العربية - لا يمكنها استيعاب العلوم والمصطلحات الجديدة والمستحدثة، رغم أن الواقع يثبت عكس هذا الادعاء، فالترجمة أمر حاصل بالفعل والعديد من الأمم نقلت وتنقل العلوم إلى لغاتها مما سمح لها بمواكبة التطور التكنولوجي والعلمي بل نجدها رائدة في بعض المجالات. والأدهى والأمر أن معظم هذه الشعوب لا تتجاوز لغاتها حدودها الجغرافية، ولا ترقى إلى نصح وسعة اللغة العربية، وأمثلة ذلك كثيرة، أهمها ما يحققه الألمان والإسبان واليابانيون والكوريين والصينيين، بل وحتى الإسرائيليين الذين أحيوا العبرية التي ماتت لقرون وهم الآن من أكثر الشعوب تطورا وانتاجا للعلم والتكنولوجيا، كل هذه الأمم تهتم بالترجمة وتستثمر فيها وتضعها ضمن أولوياتها الكبرى لديمومة تطورها وبقاء هويتها.

إذن فإن فكرة نقل العلوم وتوفيرها لأبناء البلد بلغتهم حتى يتسنى لهم استيعابها والابداع فيها هي من أهم الأسباب التي تدفع للاستثمار الهائل في الترجمة، وبالإضافة لهذه النقطة يمكن تعداد بعض ما يمكن جنيته من الاستثمار في الترجمة، وهي:

1.4 سوق كبيرة ومنافسة ضعيفة:

الترجمة كغيرها من مجالات الخدمات تدرّ ربحاً مادياً هائلاً على الشركات والدول، فحسب موقع BFM business فإن سوق الترجمة والخدمات اللغوية في العالم يساوي حوالي 50 مليار دولار سنويا (Common Sense Advisory & SCRIBEO, 2022)، وهي في تزايد وارتفاع مستمرين.

أما سوق الترجمة العربية فهي واعدة بحق لمن يريد الاستثمار فيها، والفرصة مواتية لدولة مثل الجزائر أن تنهض بالترجمة وأن تتميز فيها وأن تكون رائدة فيها لما تمتلكه من إمكانيات مادية وبشرية هائلة، بالإضافة لأسباب أخرى أهمها:

- الترجمة العربية ضعيفة للغاية حيث أن ما ينتجه العرب مجتمعين أقل من انتاج دولة أوروبية واحدة كإسبانيا، فاستنادا إلى فهرس اليونسكو فإن ما تُرجم إلى العربية خلال 25 عاما (1980-2005) يبلغ 7265 كتابا (المنعم، 2021). وهو ما يشير أيضا إلى المعلومات المتاحة حول نشاط الترجمة في الدول العربية.

- امتياز اللغة العربية بقاعدة شعبية هائلة وامتداد جغرافي هائل، فهي لغة رسمية ووطنية في 22 دولة وهي إحدى اللغات المعتمدة في منظمة الأمم المتحدة، وعدد الناطقين بها يفوق الأربعمئة مليون ناطق (Szmigiera, 2022).
- صعوبة أو حتى استحالة تحقيق فكرة المشروع العربي المشترك للترجمة بسبب التجاذبات السياسية والأيدولوجية بين مختلف البلدان حيث أن الاختلافات السائدة بين مختلف الأقطار الناطقة بالعربية أكبر بكثير مما يظن أو يحب أن يظنه البعض، وأيضا في ظل الأطماع الاقتصادية - المشروعة - للبعض.
- غياب منافسة حقيقية لحد الآن في هذا المجال، فباستثناء بعض مراكز الترجمة في مصر وعلى رأسها "المركز القومي للترجمة"، و "المركز الوطني للترجمة" بتونس، و "المنظمة العربية للترجمة" في لبنان ومشروع "كلمة" في أبو ظبي و "مؤسسة محمد بن راشد
- آل مكتوم للمعرفة" في دبي، و "جائزة الشيخ حمد للترجمة" في قطر و "جائزة الملك عبد العزيز العالمية للترجمة" في السعودية، وهي على أهميتها تبقى ضعيفة ويمكن المنافسة معها.
- تميز الجزائريين بمرونة فائقة في تقبل اللغات الأجنبية وتفتحهم عليها مقارنة بشعوب أخرى، وهذا راجع ربما للإرث اللغوي الفرنسي الهائل المنتشر في البلاد منذ الحقبة الاستعمارية.

2.4 ترقية اللغة الوطنية:

الأمة الراقية لا تكون لغتها راقية في ناحية دون ناحية، ولا تكون لغتها راقية جزئيا كأن تكون لغة الأدب والشعر والدين ولا تكون لغة باقي العلوم. الأمة الراقية لا ترضى للغتها إلا الارتقاء العام (الحاج، 1967)، حيث أن استخدام الأمم لغتها في جميع مجالات الحياة يساعدها على الابداع والتطور والواقع الحالي يبرهن ذلك، فكل الدول المصنفة ضمن المستوى الأول أو المتقدم والتي تنتج العلوم نجدها تشترك في نقطة مهمة وهي استخدام لغتها الوطنية في جميع نواحي الحياة اليومية وعلى رأسها التعليم. فدول مثل ألمانيا واليابان وكوريا الجنوبية والصين وروسيا وإسبانيا وإسرائيل... إلخ، والتي تُصنف كلها ضمن الدول المتقدمة تشترك في كونها تفرض استخدام لغاتها الوطنية في جميع مناحي الحياة ولا سيما التعليم، فالتعليم فيها يكون بلغاتهم الوطنية والأبحاث تكتب بها وتم تترجمها إلى الإنكليزية، كما نجد أيضا أن نشاط الترجمة فيها -من اللغات الأخرى إلى لغتها الوطنية خاصة- هائل جدا، بغض النظر عن حقيقة هيمنة اللغة الإنكليزية على العالم ولاسيما على النشر العلمي.

وهذا أمر طبيعي، نظرا لأن الإنسان مهما كان مستواه عاليا في اللغات الأجنبية فإنه يفضل دائما الدراسة والعمل باللغة التي درج عليها منذ نعومة أظفاره، وبها يتميز، فهناك علاقة وثيقة بين لغة المتكلم وطريقة تفكيره فهي من يقرر نمط التفكير إلى حد كبير. فكيف يمكننا إذن أن نفكر، بل ونبدع ونخترع بلغة غيرنا؟ (ملك، 2019). وحتى وإن تغلب أحدا على صعاب اللغة الأجنبية وأبدع في مجاله وتميز فيه بحق، فسيبدو للمستمعين أقل علما وشأنا مقارنة بالمتحدث بلغته الوطنية.

أما الدول السائرة في طريق النمو -كحالاتنا- فنجد فيها ظاهرة الازدواجية اللغوية منتشرة بكثرة وأغلب المناهج التعليمية وخاصة في الجامعة- تُقدم باللغات الأجنبية المهيمنة (الإنكليزية أو الفرنسية)، وهذا النهج لا ينقل العلوم الحديثة أو العلوم التطبيقية والتكنولوجية، بل هو مجرد نتائج العلم وليس جوهره أو أصوله، فاستمداد المعرفة على هذا النحو بعيد عن الابداع، وأن هناك تراجعاً واضحاً وعلنياً، بل وشكوى من أن الأجيال بدأت الاستلاب والتعريب (بويو، 1996)، ففي الجزائر مثلاً نجد أن الدراسات أثبتت أن أحد أسباب إعادة السنة بالنسبة لطلبة السنة الأولى في الجامعة هو ضعفهم في اللغة الفرنسية (خليل، 2017).

فإذا أردنا إذن أن نلحق بركب الأمم المتقدمة فيجب أن ننهج نفس منهجهم في اعتماد اللغة الوطنية في كل ميادين الحياة وبخاصة في ميادين التعليم والبحث العلمي، فالمقومات اللغوية في كيان الأمة تعد رافداً لأي حركة نهضوية في المجتمع، مهما كانت تركيبته البشرية، ولا يمكن لأي مجتمع أن يحقق أهدافه الاستراتيجية على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بمعزل عن لغته الوطنية لأن نهضة الأمم عبر تاريخ الإنسانية الطويل رافقتها نهضة لغوية (حساني، 2014).

وهذا الأمر لا يمكن أن يتأتى إلا بالترجمة. فبالترجمة ننقل العلوم ونطور لغتنا الوطنية ونحملها على مسيرة ما ينتج في البحث العلمي، فعندما ننقل العلوم فإننا نساهم في تطوير اللغة وترقيتها، فتكون في متناول الطالب بأيسر جهد ليتقرب لفهم المادة العلمية في حد ذاتها ومن ثمة الإبداع في ميدان علمه.

3.4 الرفع من نسبة القراءة لدى المواطن:

إن درجة تطور الأمم مرتبط بشكل مباشر بالوعي السائد لدى عامة مواطنيها. فلا يمكن بناء نهضة مستدامة دون شعب واع، والوعي لا يتأتى إلا من خلال القراءة والمطالعة والبحث، حيث بالقراءة ينمو العقل ويزداد معه الوعي. والشعوب التي لا تقرأ مصيرها التخلف الذي من مظاهره ضالة المعجم اللغوي، فعدد المفردات التي يستعملها مواطنو الشعوب المتخلفة قليل جداً، وأغلبها لا توصف المعنى بدقة بل تقديرية فقط، وهي إشارة خطيرة إلى التقهقر، وهو ما يلاحظ عند المواطن الناطق بالعربية عموماً، حيث أنه يستعمل عدداً بسيطاً من المفردات في تعاملاته اليومية وحتى في المجال العلمي، وهذا نتيجة لضعف نسبة القراءة لديه. فباستثناء مصر والسعودية اللتين تحتلان المرتبتين الخامسة والحادية عشر على التوالي، من بين أكثر الشعوب مطالعة (سكاي نيوز عربية 2021) نقلاً عن NOP World Culture Score Index، فإن باقي الشعوب ومن بينهم الجزائريين لا تظهر على الخريطة.

هذه الظاهرة هي نتيجة لعوامل عديدة أهمها عدم توفر الكتاب بلغة أهل البلد، فالدول التي لا تترجم الكتب الأجنبية إلى لغتها نجدها تعاني من مشكلة انخفاض القراءة والمطالعة فيه، وهذا أمر بديهي كون من يتحدثون اللغات الأجنبية قليلون جداً مقارنة بالغالبية العظمى من الشعوب التي عادة ما تكون أحادية اللغة. والأمر الثاني وهو القدرة على اقتناء الكتاب، فالإنسان مهما كان شغفه كبيراً للقراءة والمطالعة تجده يُحجم عنها إن لم يجد إلى الكتاب سبيلاً. وهو حال معظم الشعوب العربية، فسعر الكتاب مقارنة بالدخل الفردي جد مرتفع، نتيجة لأسباب عدة منها ربما قلة إنتاج الكتب وتكلفتها المرتفعة، لاسيما الكتاب المترجم، فبالإضافة إلى حقوق المؤلف والنّاشر نجد حقوق المترجم.

وليس من الغريب ان نجد أن مصرًا تحتل هذه المرتبة المتقدمة من بين الأمم عطفًا على ما بذلته من جهود في الترجمة منذ عهد محمد علي باشا إلى يومنا هذا مرورًا بالخدويي إسماعيل، أهمها مشروع الألف كتاب الأول والثاني بإشراف من الإدارة الثقافية التابعة لوزارة التعليم وأخيرًا مشروع المركز الوطني للترجمة. فنتائج هذه المشاريع - رغم توقفها لمرات عدة - بدأت تظهر، وكانت لتكون أفضل لو اكتملت واستمرت.

وعليه، فإن الاستثمار في الترجمة سيكون السبب في توفير الكتاب للقارئ العادي ولطالب المعرفة، فترتفع بذلك نسبة القراءة والمطالعة لدى عامة الشعب، والنتيجة الحتمية لذلك هو الرفع من الوعي تدريجياً الذي سيكون الضامن لنجاح كل المشاريع النهضوية.

4.4 ضمان جودة الترجمة وعدم تكرارها والتخلص من مشكلة فوضى المصطلح: إن مدى نجاح أي تجربة

مرهون بعوامل عدة أهمها هو التعلم من تجارب الآخرين وعدم تكرار نفس الأخطاء التي وقعوا فيها من قبل. وفي هذا السياق يجب التعلم من تجارب الدول السبّاقة إلى الترجمة في العالم العربي، فعلى سبيل المثال لدينا مصر ولبنان اللتين عرفت فيهما الترجمة نشاطاً نسبياً في العقود الماضية، لكن ولغياب هيئة حكومية لها صلاحيات الإشراف على العملية برمتها نجدها عانت وتعاني من المشكلات المصاحبة لفوضى الترجمة، حيث من مظاهرها أن تصدر أكثر من مؤسسة ترجمات لكتب سبق أن تمت ترجمتها وهناك كتب تصدر ترجمتها في أجزاء فيصدر جزء ولا تصدر الأجزاء الباقية، وأحياناً نجد أن الجزء الثاني أو الثالث من أحد الكتب صدر قبل أن يصدر الجزء الأول وأمثلة ذلك كثيرة منها كتاب "أثينا السوداء" و "موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي" و كتاب "سياسة ما بعد الحداثة" (النّجار و علام، 2014)، وكل هذا جهد ونفقات ضائعة تنقص من قدرة المواطن على الوصول إلى أكبر عدد من الكتب. ومن نتائج هذه الفوضى أيضاً نجد انتشار الترجمات الرديئة بسبب السعي إلى الربح المادي السريع على حساب الاتقان، وهو ما يؤثر على القارئ إذ قد يتلقى معلومات خاطئة أو يصطدم بأسلوب ركيك. كما أن عدم وجود هيئة حكومية تشرف على سوق الترجمة يؤدي كما هو حاصل الآن إلى فوضى مصطلحية، بالإضافة طبعاً إلى العوامل الأخرى المعروفة التي تساهم في ظاهرة فوضى المصطلح كطبيعة اللغة العربية السلسلة في وضع المصطلحات، والارتجالية في الترجمة من قبل المترجمين، وغياب التنسيق فيما بينهم، وأيضاً تعدد مصادر المصطلح في اللغات الأجنبية (مختاري، 2021). فبتبني الدولة لمشروع وطني للترجمة يسمح بتحسين جودة الترجمة وذلك باتباع منهجية صارمة ووضع معايير محددة لاختيار المترجم أو مجموعة العمل التي ستؤكل لها مهمة الترجمة، وأيضاً اختيار ما يجب ترجمته وترتيبه حسب الأولوية، وأيضاً فرض مصطلحات موحدة يتم وضعها بعناية فائقة.

5.4 حماية الهوية الوطنية والتأثير على الرأي العام العربي:

اللغة أداة تأثير في الواقع أو تدمير له (فا و دار الشّيخ، 2019)، فهي حاملة وناقلة لأفكار المتحدث

بها، إذ لا يوجد ما يسمى بالاستعمال المحايد للغة ولا يمكننا فصل اللغة عن الأيديولوجيا

(Shahsavari & Naderi, 2015)، وهي كما يراها نتشه فعلاً من أفعال السلطة، وهي أداة سيطرة في

أيدي الأقوياء والمهيمنين للتصنيف بين القيم "الخير والشر، النبيل والحقير"

(فا و دار الشّيخ، 2019).

هذه الصفات التي تتميز بها اللغة تسيري على الترجمة أيضا بما أنها تنطلق من لغة لتصل إلى لغة أخرى، وهو ما يجعل منها سلاحا خطيرا إن أحسن استغلاله، لأنه على عكس ما هو متعارف عليه عند العامة، الوفاء ليس لازمة للترجمة، بل إنها في أغلب الأحيان ليست بالموضوعية حتى، حيث غالبا ما تتدخل المعارف الشخصية للمترجم أو التوجهات السياسية أو الدينية له أو للزبون في النتيجة النهائية للترجمة، فنجد المترجم - من تلقاء نفسه أو بطلب من صاحب العمل - يحذف ويضيف ويحور في النص المخرج ليخدم أهدافا مسطرة من قبل.

وخير مثال على هذا ما قامت به القوى الاستعمارية في حق شعوب مستعمراتها، حيث استغلت اللغة والترجمة لفرض هيمنتها وسيطرتها على هذه الشعوب المغلوبة وحاولت بل نجحت في كثير من أحيان في استهداف وضرب واختراق مقومات هويتها وعلى رأسها 'لغتها الوطنية'؛ لأنه باختراقها والسيطرة عليها، فقد توازن وفك ارتباط، وإطاحة بقديسيّة من يتكلمها (فا و دار الشيخ، 2019)، وللوصول إلى غايتها انتهجت استراتيجية بسيطة وهي ادخال لغتها في كل مناحي الحياة اليومية لمستعمرتها باستخدام الترجمة، مع ما صاحبها من تحريف وتشويه للحقائق، تلتها بعد ذلك مرحلة إبعاد اللغة الوطنية عن كل ما هو علم وثقافة وسياسة وقصرها على الأمور الحياتية البسيطة، تمهيدا لمحوها وطمسها نهائيا، أو على الأقل أن تجعل السكان الأصليين ينظرون إلى لغتهم الأصلية كما لو أنها في مرتبة دنيا مقارنة بلغة المستعمر لأن اللغة تتصف بالهيمنة التي تقود إلى العنف الناعم الذي يمارس بحق متكلميها حين يتم فرض الرؤى والأفكار عليهم، عبر قنواتها وتعاييرها وتراكيبها (فا و دار الشيخ، 2019)، وهو التأثير الذي ما انفك قائما إلى يومنا هذا في العديد من البلدان، حيث لا تزال شعوبها رغم تمتعها بالاستقلال السياسي تابعة ثقافيا للمستعمر، ولغته ما فتئ يُنظر إليها نظرة اعجاب وانبهار، وهي بالنسبة لهم لغة الثقافة والعلم والرقي.

تنطبق هذه الهيمنة حتى على أسماء العلم (الأماكن والشخصيات ...)، مثل ما يحدث عند البحث في قول على "جزر فوكلاند" أو "جزر مالفيناس"، فالتسمية الأولى بريطانية والثانية أرجنتينية وهي جزء من صراع تاريخي بين بريطانيا والأرجنتين حول ملكية هذه الجزر. حيث أنه نظرا لوقوع معظم الدول العربية تحت الحماية البريطانية، وكنيجة للهيمنة الإنجليزية على هذه الشعوب، نجدها تميل إلى استعمال مفردات مستعمرهم، فعند البحث عنها نجد أغلب النتائج تظهر تحت التسمية البريطانية وحدها أو مرفقة بالتسمية الأرجنتينية، ونادرة هي النتائج التي تظهر تحت التسمية الأرجنتينية وحدها. وهي تجربة يمكننا الاستفادة منها لخدمة مصالحنا، مثل أن نفرض تسمية "الصحراء الغربية" عوضا عن "الصحراء المغربية" أو "أمازيغ عوضا عن بربر" فقط بالترجمة الواسعة، جون أن نلجأ إلى تحريك الآلة الدبلوماسية وبذل الأموال الطائلة للترويج لها.

وهنا تأتي أهمية انشاء مشروع وطني ومتكامل للترجمة، تكون من أهدافه حماية الهوية الوطنية من الانسلاخ، ولما لا نشرها وفرضها على الغير، إذ لا يجب أن تقتصر الترجمة على الكتب الأكاديمية أو الثقافية فقط، بل يجب أن يتعدى الأمر إلى كل ما هو مستورد من برامج تلفزيونية وأفلام، لأننا في زمن العولمة وما يصاحبها من انفتاح على الغير، والأخطار التي ترافقه فإما أن تفرض نفسك على الآخر أو أن تكون عرضة

لأفكاره وغزوه، فلا وجود لوحدة توافقية، لأن التاريخ يعلمنا أن لا وجود لوحدة توافقية بل هيمنة أحد على الآخر وعليه فمن المستحسن أن نكون القاطرة التي تقود، وأن نوفر نحن المصطلحات بما يتوافق وعاداتنا وثقافتنا.

5. كيف ننقي ما نترجمه؟

كما أشرت سابقاً يجب الاستفادة من تجارب الآخرين لتكامل تجربتنا بالنجاح، ومن هذا المنطلق يجب أن يكون العمل مدروساً وموجهاً، ومن ذلك اختيار ما يجب ترجمته أولاً، لأنه من الصعوبة بمكان العمل على ترجمة كل ما يأتينا من كتب أكاديمية وثقافية وبرامج تلفزيونية، دون أن ننسى ترجمة ما تنتجه إلى اللغات الأجنبية.

حيث وبما أننا لا نزال متخلفين كثيراً عن الركب التكنولوجي والعلمي فمن البديهي أن تتصب جل مجهوداتنا في نقل العلوم إلينا، أي أن الأولوية هي الترجمة إلى اللغة العربية، وأولوية الأولوية في هذا الصدد يجب أن تمنح للمنتج الأكاديمي، ولا يجب أن يختصر النقل على العلوم التكنولوجية والتقنية فحسب، بل كل العلوم والإنسانية والاجتماعية... إلخ. وإلا كانت النهضة عرجاء، فالواجب للباحث بالركب التكنولوجي والعلمي والفلسفي والإنساني والاجتماعي... وتكون عملية النقل للعلوم بالترتيب التالي: التعرف عليها فهضمها وتمثلها قبل أن نضيف إليها (الفصل، 2009). فيجب أن يوضع برنامج لنقل الأهم فالأهم لربح الوقت والجهد لأنه يستحيل بإمكانيتنا الحالية أن ننقل كل ما ينتج من أبحاث في عامها لأننا جداً متخلفون عن الركب، ولكن الأحرى أن تسهر الهيئة الوصية على مشروع الترجمة بالتنسيق مع كل الفاعلين على وضع قائمة لما يجب ترجمته في العام، على أن تحين هذه القائمة كلما اقتضى الأمر ذلك.

6. خاتمة: حاولت في هذه الورقة التطرق إلى فكرة ضرورة مشروع وطني للترجمة ودوره في حماية الهوية

الوطنية وفرض الهيمنة والنقوذ على مستعملي اللغة المترجم إليها دون أن ننسى العائد المادي الهام، وحاولت أيضاً تعداد الأسباب التي تجعل من هذه الفكرة ضرورة حتمية لكل مشروع نهضة، وكانت النتيجة أن مفهوم المشروع الوطني لا يعني استفراد الدولة بالعمل الترجمي، بل من الواجب إشراك كل من له صلة بالموضوع على أن تكون هناك هيئة حكومية تشرف على العملية ككل، وتكون هي الضامن لأعلى قدر من الإنتاجية والتنوعية وأيضاً التكفل بالترجمة الأكاديمية - التي هي عماد كل نهضة - حيث غالباً ما يتفادها الخواص.

وتكون من أولويات هذه الهيئة السهر على:

- سن قوانين صارمة تضبط سوق الترجمة فتفرض على مكاتب ومؤسسات الترجمة ودور النشر مراعاة معايير معينة في إنتاج الترجمة، حيث أن هذه المعايير تخص كل جوانب الترجمة: اللغوي والأيدولوجي والفكري....

- وضع معايير مدروسة يجب اتباعها أثناء الترجمة لحماية الهوية الوطنية من الغزو وصبغ الأعمال المترجمة بصبغة وطنية.

- وضع أرضية رقمية حتى يتسنى لكل هذه الأطراف (مكاتب ومؤسسات الترجمة ودور النشر الخاصة) الاطلاع على ما تمت ترجمته حتى لا يتكرر ترجمة العمل أكثر من مرة.

- وضع أرضية رقمية تكون بمثابة المرجع لكل المصطلحات المستحدثة أو المختارة لمقابلة المفردات الأجنبية، وهذا لتوحيد المصطلح.
- تشجيع الخواص على الترجمة الأكاديمية وذلك باقتناء حقوق المطبوعات الأصلية (كتب وأبحاث) وشراء انتاجهم من الترجمة (ورقية أو إلكترونية) وتوفيرها للجامعات ومختلف المؤسسات التعليمية.
- خلق مؤسسات ترجمة حكومية متخصصة في الجانب الأكاديمي وتكون متصلة بأرضية رقمية يمكن من خلالها للباحثين والأساتذة والطلبة اقتراح عناوين للترجمة.
- الاهتمام بالتكوين في الترجمة المتخصصة، حيث أنه من غير الممكن أن نتحدث عن ترجمة ذات جودة عالية في ظل تكوين عام.
- الاستثمار في الترجمة الآلية لما أظهرته من نتائج باهرة في الآونة الأخيرة حيث ستساعد على ربح الوقت وخفض التكاليف.

6. قائمة المراجع:

- المؤلفات: المؤلف(ة)، عنوان الكتاب، الناشر، (مكان النشر: الناشر، سنة النشر)، الصفحة.
- المقالات: المؤلف(ة)، عنوان المقال، اسم المجلة، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.
- المداخلات: المؤلف(ة)، عنوان المداخلة، عنوان المؤتمر، تاريخ الانعقاد، الجامعة، البلد.
- مواقع الانترنت: اسم الكاتب (السنة /)، العنوان الكامل للملف، ذكر الموقع بالتفصيل:

http://adresse complète (consulté le jour/mois/année).

سمر روجي الفيصل. (2009). *قضايا اللغة العربية في العصر الحديث*. أبو ظبي: نادي تراث النشر، صفحة 67.

كمال يوسف الحاج. (1967). *في فلسفة اللغة*. بيروت: دار النهار للنشر، الصفحات 153-154.

سليمان عبد المنعم. (09, 2021). حين يترجم العرب 20 % مما تترجمه إيطاليا بينما يزيدون عليها سكانيا 7 مرات. *جسور*، صفحة 1.

شكير نصر الدين. (2015). *الترجمة في الوطن العربي.. وهم العصر الذهبي*. نوات (8)، الصفحات 30-35.

مت طيب بن فاء، و أحمد حسني لطفي دار الشيخ. (2019). *اللغة والسلطة والهيمنة*. الضاد، الصفحات 35-45.

محمد زيد ملك. (2019). *تعزيز اللغة العربية الفصحى من خلال تعريب وترجمة المعرفة*. مجلة القسم العربي-جامعة بنجاب (26)، الصفحات 120-144.

مسعود بوبو. (1996). التعريب والشخصية الوطنية. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية سلسلة العلوم الإنسانية (6)، الصفحات 23-24.

مسعود خليل. (2017). دور الترجمة في تنشيط الحركة الفكرية تنمية اللغة العربية. اللغة العربية والترجمة (الصفحات 291-302). الجزائر العاصمة: المجلس الأعلى للغة العربية.

هشام بن مختاري. (2021). المصطلح الترجمي العربي بين فوضى الترجمة و إشكالية التوحيد. الممارسات اللغوية، 173-187.

أحمد حساني. (2014). ترقية اللغة العربية بين التخطيط الاستراتيجي والاستثمار المؤسسي. المؤتمر الدولي للغة العربية. دبي.

أحمد السيد النجار، و محمد عبد الهادي علام. (2014, 08 20). بوابة الأهرام. تاريخ الاسترداد 06 05, 2022، من الأهرام اليومي: <https://gate.ahram.org.eg/daily/News/313553.aspx>

سكاي نيوز عربية. (2021, 02 23). دولتان عربيتان ضمن "الشعوب الأكثر قراءة" بالعالم. تاريخ الاسترداد 06 04, 2022، من <https://www.skynewsarabia.com/varieties/1417162> -دولتان-عربيتان-الشعوب-الأكثر-قراءة-بالعالم: <https://www.skynewsarabia.com/varieties/1417162> -دولتان-عربيتان-الشعوب-الأكثر-قراءة-بالعالم

Schwartz, J. (1989). Traductions en Égypte gréco-romaine. *Collection de l'Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité*, 379-386.

Shahsavari, Z., & Naderi, M. S. (2015, 03 07). Investigating the Influence of Ideology on Translation: A Critical Discourse Analysis of "A Tale of Two Cities" and its Persian Translations. *International Journal of English Language & Translation Studies*, pp. 35-48.

Common Sense Advisory, N., & SCRIBEO. (2022, 03 08). *LA TRADUCTION, MOTEUR DE LA RÉUSSITE DES ENTREPRISES À L'INTERNATIONALE*. Consulté le 04 06, 2022, sur <https://www.bfmtv.com>: https://www.bfmtv.com/economie/replay-emissions/hashtag-jmleco/la-traduction-moteur-de-la-reussite-des-entreprises-a-l-international_AB-202203080005.html

Szmigiera, M. (2022, 04 01). *The most spoken languages worldwide in 2022*. Retrieved 04 13, 2022, from <https://www.statista.com>: <https://www.statista.com/statistics/266808/the-most-spoken-languages-worldwide/>